العدل اساس الملك

الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء
الجمهورية العراقية ـ النجف الاشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

«عدل ساعة في الحكم خير من عبادة سبعين سنة» (حديث شريف)

لا تحيا البلاد ولا تفلح العباد، ولا تمصر الامصار وتعمر القفار، وتزهر الديار الا بالعدل الشامل. ولا اظن هذا النوع من العدل تحقق في زمن من الازمان ووقت من الاوقات اللهم إلّا ما كان في عهد النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والخلفاء الراشدين او من حذا حذوهم من..... (وقليل ما هم) نعم لم يتحقق العدل في سالف العصور، ولا في هذه الدهور فكأن طينة هذا الانسان الضعيف جبلت على اتيان الظلم والجور ـ جبل القوي على الاعتداء على الضعيف، والغالب على المغلوب وتلك سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا ولكن (حنانيك بعض الشر اهون من بعض) فلم تخل هذه الارض من قائم يهدي الناس الى سبيل الرشاد ويزمهم عن طرق الجور والفساد، واقبح بالانسان ان يعدو على اخيه في الانسانية ويسلبه حقه فلا يبقي له ولا يذر وقد لا يكتفي بذلك فينكل به اشد تنكيل ويضعه في غيابة السجون ويورده ريب المنون.

فتشت عن العدل في مخازن التجار وبيوت الكبار وقرى الاغنياء واكواخ الفقراء فلم اجده.

فتشت عليه في مدارس العلماء واقوال الحكماء، واماكن الاطباء ونوادي الحكام

ودور الحكومات فلم اجده.

فتشت عليه في معاهدات الدول ومؤتمراتها، ومنتديات الامم وجمعياتها فلم اجد له من اثر ولم اقف لها على خبر.

اواه يا ربي فاين اجد العدل في الشرق وحاله كماترى ام في الغرب وهو الذي يدوسه برجليه ولا يبالي فاذا لم اجد العدل في الارض فلعلي اجده في السماء.

انا لا اخال انه ياتي على الانسان حين من الدهر يذوق به طعم العدل اللذيذ وتمتع عيناه بمراه البديع واذا لم يجده في عالم الفناء، فسوف يجده في عالم البقاء وهناك الحكم العدل والقول الفصل، وها نحن نذكر من وقت الى اخر ما اتصف به بعض الافراد من العدل وناتي على طرف من اقوال السلف فلعلها تكون عظة وعبرة لهؤلاء الخلف.

ونحن نبتدا في خطبة لامير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) لان بها من الكلام العظيم والقول الجزل ما لا زيادة بعده لمستزيد والله ولي التوفيق الى اقوم طريق قال عليه افضل السلام والتحية: (اما بعد فقد جعل الله لي عليكم حقا بولاية امركم. ولكم علي من مثل الحق الذي لي عليكم. فالحق اوسع الاشياء في التواصف واضيقها في التناصف. لا يجري لاحد إلّا جرى له. ولو كان لاحد ان يجري له ولا يجري عليه لكان ذلك خالصا لله سبحانه دون خلقه لقدرته على عباده ولعدله في كل ما جرت عليه صروف قضائه ولكنه جعل حقه على العباد ان يطيعوه وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضلا منه وتوسعا بما هو من المزيد اهله ثم جعل سبحانه من حقوقه حقوقا افترضها لبعض الناس على بعض فجعلها تتكافؤ فيوجوهها ويوجب بعضها بعضاً ولا يستوجب بعضها إلّا ببعض واعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي. فريضة فرضها الله سبحانه لكل على كل نظاما لالفتهم وعزا لدينهم. فليست تصلح الرعية إلّا بصلاح الولاة ولا تصلح الولاة إلّا باستقامة الرعية، فاذا ادت الرعية الى الوالي حقه. وادى الوالي اليها حقها. عز الحق بينهم وقامت مناهج الدين واعتدلت معالم العدل. وجرت على اذلالها السنن. فصلح بذلك الزمان وطمع في بقاء الدولة. وبئست مطامع الاعداء واذا غلبت الرعية واليها واجحف الوالي برعيته. اختلفت هنالك الكلمة. وظهرت

معالم الجور. وكثر الادغال في الدين وتركت محاج السنن فعمل بالهوى وعطلت الاحكام وكثرة علل النفوس فلا يستوحش لعظيم حق عطل ولا لعظيم باطل فعل. فهنالك تذل الابرار).

ثم انه عليه السلام لم يترك لما وصفه لحال الوالي والرعية وما لهما وعليهما من حقوق وواجبات في تلك البلاغة والوصف ما يعجز عن الاتيان بها ابلغ البلغاء والحكماء والمشرعين في كل العصور. نعم انه سلام الله عليه اخذ ايضا نفسه كوالي على الرعية ليكون قانونا لولاة العدل والائمة من بعده. فيقول عليه السلام: (..... وان من استخف حالات الولاة عند صالحي الناس ان يظن بهم حب الفخر ويوضع امرهم على الكبر. وقد كرهت ان يكون جال في ظنكم اني احب الاطراء واستماع الثناء. ولست بحمد الله كذلك ولو كنت احب ذلك تركته انحاطا لله سبحانه عن تنازل ما هو احق به من العظمة والكبرياء وربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء فلا تثنوا علي بجميل ثناء لاخراجي نفسي الى الله واليكم من التقية في حقوق لم افرغ من ادائها وفرائض لابد من امضائها فلا تكلموني بما نكلم به الجبابرة. ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند اهل البادرة ولا تخالطوني بالمصانعة ولا تظنوا بي استثقالاً في حق قيل لي ولا التماس اعظام لنفسي فانه من استثقل الحق ان يقال له. والعدل ان يعرض عليه. كان العمل بهما عليه اثقل فلا تكفوا عن مقالة بحق. او مشورة بعدل....).

هذه خطبته عليه السلام ونحن اوردنا جلها لكي تعلم مبلغه من العدل والانصاف كيف لا وهو الذي يروي عنه انه تخاصم مع رجل يهودي عند الخليفة الثاني فقال له عمر ساو خصمك يا ابا الحسن فغضب عليه السلام فظن عمر ان ذلك لمساواة خصمه. فقال له اجل وانما لكونك دعيتني بالكنية التي تشعر بالرفعة ودعوة خصمي باسمه فما قولك بامة هكذا يسير امراؤها وحكامها قابل بينها وبين ماترى اليوم تسمع تجد عجبا ولا تحسب ان بين حكم اولئك وهؤلاء نسبا فمتى تقم الشرائع والاحكام وتتساوى في الحقوق الرعية والحكام ﴿وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون﴾ والسلام.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی